

الفصل السادس

الطباعة والنشر

تحقيق تاريخ إنشاء مطبعة بولاق ، الباعث والمثير بإنشاء المطبعة ، احضار أجزاء المطبعة الأولى من إيطاليا ثم من فرنسا ، إنشاء مصنع الورق بمصر ، مديرو المطبعة ، موظفوها ، المطابع الأخرى في : مدارس الطب ، والهندسة والطوبجية ، وفي القلعة ، وفي سراي الأسكندرية ، الفرض الأساسي من إنشاء هذه المطابع ، توزيع الكتب على تلاميذ المدارس ، الاقبال على الكتب المزخرفة خارج المدارس محمد علي يهدي نسخا من الكتب المطبوعة لملك فرنسا ، ونظمت روسيا ، وإنشاء الدجيم .

كانت أول دولة شرقية عرفت الطباعة هي تركيا ، فقد أدخلت إليها أول مطبعة في سنة ١٧٢٨ ، ثم تلتها سوريا ، فقد جلبت إليها الإرساليات الدينية المطابع لطبع الكتب الدينية ، فلما وازدت الحملة الفرنسية على مصر أحضرت معها مطبعة البروجنداء ، من إيطاليا ، ولكن هذه المطبعة لم تعط الفرصة الكافية والهدوء اللازم لتخرج للشعب مطبوعاتها ، ثم قدر لها أخيراً أن تخرج من مصر بخروج الحملة .

وظلت مصر خالية من المطابع نحو العشرين عاماً حتى بدأ محمد علي بضع الأسس لإصلاحاته ، وكان عماد هذه الإصلاحات في نظره مدارس جديدة ، وجيشاً جديداً ، يتبع في إنشائها النظم الأوروبية الحديثة ، ورأى أن هذه النظم الحديثة لا توجد في الكتب العربية أو التركية القديمة ، وهنا انجبه تفكيره إلى إنشاء مطبعة في مصر تزود هذه المنشآت بالكتب اللازمة .

يرجع تفكير محمد علي في إنشاء المطبعة إلى سنة ١٨١٥ تقريباً ، وهي السنة التي أوفد فيها بعثته إلى إيطاليا للتخصص في فن الطباعة . أما تاريخ إنشاء المطبعة فقد اختلف فيه المؤرخون حتى المعاصرون منهم والراي المتفق عليه بينهم أنها أنشئت في سنة ١٨٢٢^(١) ، غير أن وثائق العصر تفيد بأنها أنشئت قبل ذلك . كتب شاعر اسمه سعيد ثلاثة أبيات باللغة التركية على لوحة تذكارية^(٢) بمناسبة إنشاء المطبعة (ولا زالت هذه اللوحة موجودة في المطبعة حتى الآن) ، وقد أشير في نهايتها إلى أنها أنشئت في سنة ١٢٣٥ (من أكتوبر ١٨١٩ إلى أكتوبر ١٨٢٠) ، وأرجح أن يكون الإنشاء في أواخر سنة ١٢٣٥ أي في سنة ١٨٢٠ ميلادية ، فقد ذكر الأستاذ توفيق اسكاروس أنه عثر في نتيجة الحائط لسنة ١٩٠١ على بيتين من الشعر يورخ الأول منهما لسنة إنشاء المطبعة ، وهي سنة ١٨٢٠ ، ويورخ الثاني لسنة طبع النتيجة وهي سنة ١٩٠١ ، أما البيتان فهما :

(١) Biauchi, Catalogue Général des livres Arabes, . . etc. Journal Asiatique, 1843. p. 24.

(٢) انظر صورة هذه اللوحة ونص ما كتب عليها في تاريخ الوقائع المصرية للدكتور إبراهيم مبد ، ص ٧ ، واللوحة المرفقة لها

حسن النتيجة قد نالت مطبعة محمد ساكن الجنات أنشأها ١٨٢٠

واليوم في دولة العباس أيده ربي ، تجدد بالإسعاد مبناها ١٩٠١^(١)

ويرى أمين سامى باشا أن المطبعة أنشئت في ٨ صفر سنة ١٢٣٧ (٤ نوفمبر ١٨٢١) معتمداً في ذلك على أمر صادر من محمد علي باشا في هذا التاريخ إلى كتحذا مصر محمد لاط اوغلى بك يشير فيه إلى وجود شخص هندي بمصر له معرفة وإلمام ببعض اللغات ، وحسن الخط ، يقتضى تعيينه لتعليم الخط الفارسي للشبان الموجودين بمعية عثمان أفندي سقه زاده بيولاقي ، وفي آخر الأمر حاشية تشير إلى تخصيص المذكور لعمل ترتيب لصنع حروف الطبع لطبع الكتب المصمم طبعها بيولاقي أيضاً ، وتكون خطوط الكتب بخطه ،^(٢) وفي ١١ ديسمبر سنة ١٨٢٣ زار المطبعة الرحالة الإيطالي بروكي ، وقال في حديثه عنها ، والمطبعة لم تبدأ عملها كاملاً إلا منذ نحو أربعة أشهر ،^(٣) ، أى إنها بدأت العمل في أغسطس سنة ١٨٢٣ . ثم ذكر أن المطبعة أخرجت قبل زيارته كتابين ، أحدهما باللغة التركية تعليم الجنود الموجودين في الصعيد ، والثاني أجروية باللغة العربية من تأليف أحد مشايخ القاهرة .

هذه هي صفة الآراء التي تعرضت لتحديد تاريخ الإنشاء ، ومنها نستطيع أن نستنتج أن المطبعة بدى في إنشائها في سنة ١٢٣٥ (١٨٢٠) ، فاللوحات التذكارية يذكر فيها دائماً تاريخ البدء في البناء لا الانتهاء منه ، ونستطيع أن نستنتج أيضاً أن الإنشاء تم في سنة ١٨٢١ ، وأنها بدأت الطبع في ١٨٢٢ . وكما اختلف المؤرخون في تحديد سنة الإنشاء ، فقد اختلفوا أيضاً في تاريخ تحديد الباعث لمحمد علي على إنشاء المطبعة ، والمشير عليه بذلك ، فرأى بعضهم أن الغرض الأول لإنشاء المطبعة هو اهتمام محمد علي بطبع القوانين والوائح والمنشورات الإدارية التي كان يريد نشرها في مختلف مديريات القطر ، وهذا فيما نرى بعيد عن الصواب ، فإن النظام الذي وضعه محمد علي لم يكن قد صدر بعد^(٤) ، وإنما إنشاء المطبعة يعاصر تماماً إنشاء المدارس الجديدة والجيش الجديد^(٥) فلا شك إذن أن الغرض الأساسي هو طبع الكتب والتعليمات لهاتين المنشأتين ..

كذلك يرى المسبورينو ، والأستاذ بشانلي^(٦) أن الفضل في تنظيم مطبعة بولاق يرجع إلى نصائح الأب رفاييل زاخور ، بينما ترى السيدة د لا كوتنا مبورن^(٧) ، La Contemporaine التي زارت مصر في

(١) نوفوق اسكاروس ، تاريخ الطباعة في وادي النيل ، الهلال ، ديسمبر سنة ١٩١٣ م ٢٠٠ .

(٢) تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٥٧٨ .

(٣) Brocchi, Op. Cit ; v. 1, p. 172.

(٤) إبراهيم عيده ، المرجع السابق ، ص ٨ .

(٥) Perron. Lettre sur les écoles et l'imprimerie, ... etc. J. A., 1843, p. 18.

(٦) Bechtly. Un Membre Oriental .. etc. p. 257 & Reineaud. Notice des ouvrages arabes .. etc. J. A. (٦) ١٥١, p. 342.

(٧) La Contemporaine en Egypte, t. 11, pp. 276, 293-4.

سنة ١٨٣١ أن نجاح المشروع يرجع إلى عثمان نور الدين ، فإنه يبدو أنه هو صاحب الاقتراح ، وهو الذي عرضه على محمد علي ، وهذه آراء - فيما يتضح لي - تعتمد على الاستنتاج أكثر من اعتمادها على الحقيقة أو السند التاريخي المادي ، فإن البعثة التي أرسلها محمد علي إلى إيطاليا لتعلم فن الطباعة ، والتي كان من بين أعضائها نيقولا مسابكي أول رئيس للمطبعة أرسلت في سنة ١٨١٥ ، والأب رفايل لم يعد إلى مصر إلا في سنة ١٨١٦ ، كذلك عثمان نور الدين لم يعد من بعثته إلى مصر إلا في سنة ١٨١٧ ، لهذا يصح أن نرى أن عمد علي هو صاحب الفكرة ، وإن كنا لا ننكر أنه أفاد فوائده من نصائح وتوجيهات ومساعدات كل من عثمان نور الدين والأب رفايل عند الانشاء الفعلي للمطبعة . وقد بدأ محمد علي فأحضر ثلاث آلات للطبع من ميلانو كما أحضر الحبر والورق والمواد الأخرى اللازمة للطباعة من ليجهورن Leghorn وتريستا Trieste ، غير أنه بعد أن صدف عن إيطاليا واتجه إلى فرنسا أخذ يحضر آلات للطباعة من باريس ، فإن د ميشو وبوجولات (١) Michaut et Poujoulat ذكرا أنهما رأيا ثمانية منها تؤدي عملها في سنة ١٨٣١ .

ولقد أحضرت للمطبعة عند إنشائها مجموعات من الحروف العربية والإيطالية واليونانية ، وقد صنعت كلها في ميلانو بإيطاليا ، غير أنه تبين بعد طبع الكتب التركية والعربية الأولى أن هذه الحروف العربية المصنوعة في إيطاليا رديئة معتلة (٢) ، لهذا لم يكف محمد علي يعلم بوجود مستكلاخ افندى (٣) الخطاط الفارسي المشهور بالقاهرة حتى أصدر أمره في ٨ صفر سنة ١٢٣٧ بأن يكلف بنقش حروف جديدة للمطبعة ، فجاءت حروفه جميلة ، وأجل الكتب التي طبعت بخطه الفارسي «ديوان محي الدين بن عربي» الذي طبع في بولاق سنة ١٨٥٤ . وقد كانت الحروف العربية بمطبعة بولاق صنفين : خط التعليق أو الفارسي ، وكانت تطبع به عناوين الفصول غالباً ، والخط النسخي المعتاد وتطبع به المتن .

أما الحبر فلم يلبث أن صنع في مصر ، وبذلك أوقف استيراده من أوروبا ، كذلك الورق فقد أنشئت «فابريكة» لصنعه حوالي سنة ١٢٥٠ (٤) أو قبلها بقليل ، وكان مقرها الأول في الحسينية ، ثم نقلت إلى بولاق ، وكان الورق يصنع أولاً من مواد الأولية ، وفي ١٤ جمادى الأولى سنة ١٢٥٠ صدر أمر من محمد علي إلى ناظر الجهادية جاء فيه «بما أنه صار البدء في تشغيل فابريكة الورق التي تم إنشاؤها ، وأن هذا الصنف يشتغلونه من الملابس الكهنة ، وما يشابهها ، فيشير بالتحريم من الجهادية إلى سائر الآليات

(١) Michaut et Poujoulat, Correspondances d' Orient, t. VI, p.291.

(٢) أظن مثلاً فاموس رفايل الايطالي العربي ، وفن الصباغة من ترجمته ، وفن الحرب باللغة التركية ترجمة شاني زادة ، وهي أول كتب ترجمت وطبع في بولاق سنة ١٢٣٨ (١٨٢٣) .

(٣) اسكارس ، المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

(٤) تهويم النيل ج ٢ ، ص ٤٢٢ .

والأرط بإرسال الملابس المترجمة إلى ديوان الجهادية أولاً بأول ، ويورودها ترسل إلى فابريكة الورق أولى من بيعها أو اتلافها بالبقاء ، فضلاً عما في ذلك من الفائدة في كثرة تشغيل الورق (١) . ولم يكن محمد علي يسمع بأى تحسين صناعى يتم في أوروبا حتى يبادر بالأخذ به في مصر ، ففي ١٣ شعبان سنة ١٢٦٣ — قبيل وفاته بسنتين — نشرت الوقائع المصرية ، أنه استحضر من أوروبا آلة بخارية لإدارة فابريكة الورق . وصار المأمول ازدياد ما يعمل فيها من جميع أصناف الورق بدلاً من إدارة الفابريكة بالمواشى (٢) .

وقد ظلت الآلات الخاصة بالمطبعة وفابريكة الورق ، وأصول الحروف ، واللوحات الإيضاحية الملحقة بالكتب المترجمة — وخاصة الكتب الخيرية والرياضية والجغرافية — تصنع في أوروبا — في إيطاليا وفرنسا — حتى تاريخ متأخر .

ففي ٢٩ المحرم سنة ١٢٤٨ (١٨٣٢) صدر أمر من محمد علي ، إلى مدير أمور التلامذة المصرية بباريس بالتصريح له بمشترى أحجار المطبعة التى بها رسم حركة السوارى المصنوعة بمعرفة عبدى أفندى .. وإرسال ذلك بطرفه برسوماتها التى عليها ، واستلام قيمة أثمانها من التقديرة المحولة بمعرفة الخواجة باغوص ، (٣) . وفي ٦ صفر سنة ١٢٥٠ صدر أمر منه إلى خورشيد باشا وكيل الجهادية ، بأنه علم ، ما تقرر من حكا كيان مهندس فابريكة الورق التى صار انشؤها حديثاً أنه يلزم لعمل المهمات والآلات التى تلزم للفابريكة هنا مدة مستطيلة نحو السنة ، وعليه يشير بأنه إن أمكن عمل ذلك في عهد قريب فيها ، وإلا تحرر كشف بما يلزم بمعرفة المهندس المذكور . وتقديمه لطرفه لمداركتها من إيطاليا ، كما سبق استحضارها منها (٤) .

وفي ١١ رمضان سنة ١٢٥٢ صدرت إفادة منه إلى باغوص بك ، إنه بالنسبة لإعطائه أوراق عينات خط التعليق لاستحضار ذلك من أوروبا برسم المطبعة ، ولاستعلام ناظرها شفاهياً من ورود ذلك من عدمه ، يلزم الإفادة عما ذكر ، وإن كان ورد منه شئ . يرسل إلى المطبعة كقضى الأمر العالى (٥) . وظل الأمر على ذلك حتى نهاية عصر محمد علي ، فيما عدا اللوحات الإيضاحية ، فقد ألحقت بمطبعة بولاق حوالى سنة ١٨٤٢ (٦) مطبعة أخرى لصنع هذه اللوحات وطبعها .

(١) تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٤٢٦ .

(٢) الوقائع المصرية ، العدد ٢٥ ، بتاريخ ١٢ شعبان سنة ١٢٦٣ .

(٣) تقويم النيل ج ٢ ص ٣١٨ .

(٤) المرجع السابق ، ٤٢٢ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٢٩ .

(٦) Perron, Lettre (A. M. J. Mohl) sur les écoles et l'imprimerie du Pacha d' Egypte J. A. 1843 p. 19

وقد كان أول مدير للطبعة هو نقولا مسابكي ، وظل يشرف على إدارتها من الناحيتين الفنية والعلمية حتى توفي في سنة ١٢٤٤ (١٨٣٠) .

وقد ذكر بروكي ، أن مسابكي هفا - في أول عهده بالعمل - هفوة خطيرة كادت تقصيه عن العمل وتودى به ، وذلك أن قساً إيطالياً من كلابريا اسمه ، كارلوييلوتي ، كان مدرساً بمدرسة بولاق نظم قصيدة طويلة في الأديان الشرقية ، وكانت تتضمن طعنات في الدين الإسلامي ، وأعطاهها لمسابكي لطبعها في مطبعة بولاق ، وكان المستر ، سالت Salt ، متصل إنجلترا في مصر يكره هذا القس ، فأراد أن يوقع به ، ونقل خبر هذه القصيدة إلى محمد علي الذي أمر في الحال بإحراق أصل القصيدة ، ولولا وساطة عثمان نور الدين لما عفا عن مسابكي ، بل لئاله منه عقاب أليم^(١) .

وعقب هذه الحادثة أصدر محمد علي أمره في ١٣ يوليو سنة ١٨٢٣ (١٦ ذوالقعدة ١٢٢٩) أن لا تطبع المطبعة أى كتاب حكومى إلا بعد صدور إذن خاص منه .

وقد ألحق بنقولا مسابكي منذ اللحظة الأولى عدد من تلامذة الأزهر ، وكلف بتعليمهم طريقة الطبع وصف الحروف ، ونواحي العمل الفني الأخرى ، فلما حذقوا العمل ومرنوا عليه أسندت رئاسة الأقسام إلى نفر منهم ، فعين الشيخ عبد الباقي رئيساً للسبك ، والشيخ محمد أبو عبد الله رئيساً للطابعين ، والشيخان يوسف الصنفي ومحمد شحاته رئيسين للصفافين^(٢) .

وقد تولى الإشراف الفني على المطبعة منذ إنشائها نقولا مسابكي ، أما الرئاسة الإدارية فقد تولوها أناس كثيرون بألقاب مختلفة ، كان أولهم عثمان نور الدين الذي عين مفتشاً للطبعة في ٨ صفر سنة ١٢٣٧ (٤ نوفمبر ١٨٢١) وظل يشغل هذا المنصب حتى شهر ذى الحجة سنة ١٢٣٩ (يوليو ١٨٢٣) ، ثم خلفه قاسم أفندي الكيلاني ، مأموراً ، للطبعة من سنة ١٢٣٩ إلى ١٢٤٨ (١٨٢٣ - ١٨٣٢) ، وفي ٢٦ ذى الحجة سنة ١٢٤٥ (١٩ يونيو ١٨٣٠) عين عبد الكريم أفندي ، مفتشاً للطبعة حتى فصل في ٢٧ ذى الحجة سنة ١٢٥٠ (٢٦ أبريل ١٨٣٥) ، وفي سنة ١٢٤٨ عين من بدعى سعيد أفندي ، ناظراً للطبعة غير أنه لم يلب هذا المنصب إلا شهوراً قليلة ثم خلفه في النظارة فاتح أفندي من ١٨ المحرم سنة ١٢٤٩ إلى رجب سنة ١٢٥٢ .

ثم اختفى لقب الناظر قليلاً ، وعين حسين بك ، مديراً للطبعة وملحقاتها ، من جماد أول سنة ١٢٥١ إلى صفر سنة ١٢٥٥ ، ثم ظهر لقب الناظر ، ثانية ، فعين حسن أفندي ناظراً للطبعة والوقائع من ذي

(١) اسكاروس ، المرجع السابق ، ص ٢٠١ ، غلامن ، بروكي ، .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

الحجة سنة ١٢٥٢ إلى حوالى منتصف سنة ١٢٦٠ ، ثم خلفه حسين أفندى راتب ناظرا من سنة ١٢٦٠ إلى ١٢٦٤^(١) .

وأول ما نلاحظه على هذه القائمة أن تواريخها يتداخل بعضها فى البعض الآخر أحيانا وأن ألقاب رؤساء المطبعة كانت تختلف من سنة إلى أخرى ، فالرئيس مرة مفتش ، ومرة مأمور ، وهو حيننا ناظر ، وحيننا آخر مدير ، وتفسير هاتين الملاحظتين فى نظرنا أن المطبعة كانت ذات فروع وأقسام مختلفة ، فلعل رئيس كل قسم كان يحمل لقباً معيناً ، وبهذا نستطيع أن نفسر وجود مفتش ومأمور ، أو مأمور وناظر ، أو ناظر ومدير فى وقت واحد .

ولقد كانت المطبعة الوسيلة الكبرى لتحقيق غرض محمد على من نقل الحضارة الغربية إلى مصر ، فلقد كانت طريقته فى هذا النقل هى الترجمة ، وما كان للترجمة أن تحقق غرضها إذا لم تطبع من الكتب المترجمة نسخ كثيرة توزع على الجند فى فرق الجيش ، وعلى الطلاب فى المدارس ، بل وعلى الأهلىين .

ولهذا أنشئت مطابع أخرى كثيرة ، وأُخِىَ معظمها بالمدارس ، وخاصة البعيدة منها عن بولاق ليتيسر لها طبع الكتب التى تترجم بها دون تكبد مشقة الانتقال إلى مقر المطبعة الكبرى ، فكانت هناك مطبعة ملحقة بمدرسة الطب حين كانت فى أبى زعبل ، وقد طبع بها فى سنة ١٢٤٨ أول كتاب ترجم فى الطب وهو كتاب « القول الصريح فى حلم التشريح » ، ثم ظلت تطبع بها الكتب الطبية المترجمة حتى نقلت المدرسة إلى قصر العينى فأصبحت كتبها تطبع فى بولاق .

وكانت هناك مطبعة ملحقة بمدرسة الطوبجية بطرة ، وأول كتاب طبع بها هو كتاب : « السكز المختار فى كشف الأراضى والبحار » . وقد طبعت بها كتب حرية ورياضية وجغرافية أخرى ، كذلك كانت هناك « صفة أخرى فى المدرسة الحربية بالجيزة . وكان فى القلعة مطبعة طبعت بها الوقائع المصرية مدة ما .

وبرغم وجود مدرسة المهندسخانة فى بولاق فقد ألحقت بها حوالى سنة ١٢٦٠ مطبعة حجر خاصة بطبع الكتب الرياضية المختلفة ، وما يتصل بها من أشكال ولوحات إيضاحية .

وهناك مطبعة أخرى لم يكن أحد يذكرها أو الإشارة إليها رغم أهميتها ، وهى مطبعة سراى الاسكندرية ، ولستنا نعرف بالتحديد متى أنشئت هذه المطبعة ، ولكننا نعرف أنها شاركت فى طبع بعض الكتب المترجمة فى ذلك العصر ، وخاصة الكتب التاريخية التى ترجمت إلى اللغة التركية ، ومنها نستطيع أن نرجع أن هذه المطبعة أنشئت فى سراى رأس التين حوالى سنة ١٨٣٢ ، فبقها طبع فى سنة ١٢٤٩ (١٨٣٤) كتاب « تاريخ نابليون » ، تأليف « دوقى دى روفيجو » ، وكتاب تاريخ إيطاليا تأليف « بوتا » ، وقد قام بترجمة الكتابين عن الفرنسية إلى التركية عزيز أفندى كاتب الديوان بشفر الاسكندرية .

وفي هذه المطبعة أيضاً كانت تطبع الجريدة الرسمية الفرنسية «لومونيتور اجبسيان Egyptian» التي ظلت تصدر نحو ثمانية أشهر من أغسطس سنة ١٨٣٣ إلى مارس سنة ١٨٣٤^(١).

وبعد وضع التنظيم الإداري الجديد لمصر الحق ببعض الدواوين مطابع خاصة بها لنشر أوامرها ومشوراتها وقوانينها فقد كان لديوان المدارس مطبعة ، ولديوان الجهادية مطبعة ، غير أنا نلاحظ أن هذه المطابع شاركت أيضاً في طبع الكتب المترجمة ، ففي مطبعة ديوان الجهادية طبعت «رسالة في علاج الطاعون» في سنة ١٢٥٠ ، و«رسالة فيما يجب اتخاذه لمنع الجرب والداء الأفرنجي عن عساكر الجهادية ونسائها» في سنة ١٢٥١ ، والرسالتان من تأليف كلوت بك .

وقد كان الغرض الأساسي من انشاء هذه المطابع هو طبع الكتب المترجمة ، ولكنها قامت أيضاً باحياء كثير من المخطوطات القديمة التي دعت الحاجة إلى طبعها ، وقد كانت تقاليد العصر تقضى بطبع ألف نسخة من كل كتاب يترجم ، وإن كان القليل منها قد طبع منه خمسمائة فقط .

وكانت هذه الكتب توزع على تلاميذ المدارس ، فهي من أجلهم ترجمت وطبعت ، وكانت أثمان الكتب تخصم منهم في أول الأمر ، وثمن الكتاب هو ما صرف على طبعه دون تقدير أي ربح ، وحوالي سنة ١٢٥٨ (١٨٤٢) رأت الحكومة أن تصرف الكتب للتلاميذ على نفقتها الخاصة ، ولكنها كانت تأمر بأن تكون هذه الكتب عارية للتلاميذ تجمع منهم إذا انتقلوا إلى فرقة أعلى لتصرف إلى التلاميذ الجدد^(٢) وهكذا يستمر الكتاب يتداول بين التلاميذ من يد إلى أخرى حتى يهلك فيستهلك .

وبعد مدة أخرى رأى ديوان المدارس أن يقرر مبدأ ملكية التليذ للكتاب ، وبهذا أصبح كل تليذ يحتفظ بكتبه إذا انتقل من فرقة إلى أخرى ، أو من مدرسة إلى أخرى ، ويبدو لي أن الديوان قرر هذا النظام بعد أن رأى أن الكتب التي طبعت لم تجد لها قراء غير تلاميذ المدارس ، فتكدست أكواما في المخازن . وقد كانت الكتب التي طبعت في مصر تبذلها أسواقا رائجة في تركيا وبلاد المغرب^(٣) وبذلك نافست مطبعة بولاق مطبعة الاستانة .

أما في مصر فقد كان الإقبال على الكتب المترجمة — خاوج المدارس — قليلا جدا ، وذلك لقلة عدد القارئ ، ولأن معظم الكتب التي ترجمت كانت كتباً فنية لا يفيد منها قراء المعهد القديم — الأزهر — ، ولهذا كانت هذه الكتب تخزن في مخازن المطبعة في بولاق ، أو في «الكتبخانة الحديدية» التي أنشئت في سنة ١٢٥٠ وكان الديوان والكتبخانة دائمي الشكوى من صعوبة (تصريف) الكتب التي اكتظت بها

(١) إبراهيم عبده ، تاريخ الوثائق المصرية ، ص ١١٩ — ١٢١ ، وانظر أيضا :

St. John, Egypt & Mohamed Ali, vol. II, p. 358.

(٢) عزت هيد الكريم ، تاريخ التعليم في مصر منذ علي ، ص ٤٧٦ .

(٣) Perron, Lettre sur les écoles et l'imprimerie du Pacha, etc. J. A., 1643, P. 152.

برغم الاجراءات التي كانت تتخذها لتشجيع الاقبال على شرائها فكانت تباع الكتب أحيانا بشئ وتخفيض أثمانها أحيانا أخرى . رغبة في انتشار العلوم بين الأهل^(١) . وقد كان في عزم محمد علي أن ينشئ في القلعة ، بعد اتمام الجامع الشريف ، دار كتب جديدة تنقل اليها الكتب النفيسة من خزانة الأمتعة ، لمطالعة الجمهور^(٢) ، غير أن المراجع المعاصرة لا تذكر أن هذا الأمل حقق في عصر محمد علي . وكانت لجنة الامتحان في مدرسة اللسان تكافئ المجيدين من المترجمين فتمنح كل مترجم أنجز عمله - في الموعد المحدد له ، وطبع كتابه - خمس نسخ من هذا الكتاب - هدية وتشجيعا له^(٣) . وكان محمد علي يفخر بنهضة العلية كل الفخر ، ويعتز بكتبه التي ترجمت وطبعت ويحب أن يباهي بها النول الأخرى ، بل كان يعتبرها خير هدية تهدى للوك أوروبا المختلفين ، ففي ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٢٦١ أصدر أمره إلى مدير ديوان المدارس « بانتخاب ثلاث نسخ من كل كتاب من الكتب الكبيرة النفيسة التي طبعت في مطبعة مصر ، والتي سبق إرسالها إلى أوروبا ، وتجليدها وتذهيبها ، وإرسالها لفرنسا ، وخصم الثمن على طرف الديوان ، لترسل بمعرفة أرتين بك مدير التجاره والأمور الخارجية ، لصاحب الجلالة ملك فرنسا بصفة هدية^(٤) . وفي ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٢٦١ صدر منه أمر آخر ، جاء فيه : « الكتب المدرجة بالجدول طيه سترسل هدية مني إلى صاحب الحشمة ملك روسيا ، فيلزم فرزها وتجليدها وتذهيبها ، مع ٣ نسخ من كل نوع من أنواع الكتب السابق طبعها بمطبعة بولاق ، وأرسل منها إلى أوروبا^(٥) . وفي ١٥ رجب سنة ١٢٥٦ أعطى ميرزا هاشم مجموعة من الكتب التي طبعت في بولاق لتقدمها إلى شاه العجم^(٦) .

(١) تاريخ التمام في عصر محمد علي ، ص ٢٧ .
 (٢) تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٤٨٣ ، وقد عبر محمد علي عن هذا الأمل في خطاب منه إلى باقي بك في ٥ المحرم سنة ١٢٥٣ .
 (٣) تاريخ التمام في عصر محمد علي ، ص ٣١٢ (عن وثائق عابدين) .
 (٤) تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٥٢٩ .
 (٥) المرجع السابق ، ص ٥٣٣ .
 (٦) في « عابدين ، حفظة ٢٦٠ رقم ٧٢ بيان بأسماء هذه الكتب : أنظر : أسد رستم ، بيان بوثائق الشام ، مجلد ٤٤ ، ص ١٠٦ .